



معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2023/07/10

تاريخ القبول: 2023/12/20

Printed ISSN: 2352-989X

Online ISSN: 2602-6856

تأثير القضية الموريسكية على العلاقة الجزائرية الإسبانية (1492-1571م)

*The Impact of Moriscos Question On Algerian –
Spain Relationship (1492- 1571 AC)*

أورزيفي خديجة

¹ جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله (الجزائر)

khadidja92.ourezifi@gmail.com

الملخص:

كان السيطرة على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط هو الأساس الذي بنيت عليه العلاقة بين الجزائر العثمانية وبين إسبانيا، وكان لسقوط غرناطة سنة 1492م والأحداث التي تلتها من تعميم إجباري وطرد نهائي للمسلمين من شبه الجزيرة الإيبيرية أثر كبير على سيرورة العلاقة الجزائرية الإسبانية بشكل خاص.

نهدف من خلال هذا البحث إلى إلقاء الضوء على تأثير الأحداث الكبرى في القضية الموريسكية على علاقة الجزائر بإسبانيا في القرن السادس عشر للميلاد، كما نهدف إلى دراسة ردة فعل الإدارة العثمانية بالجزائر على هذه الأحداث، وتأثيرها على العلاقة العثمانية الإسبانية بشكل عام.

الكلمات المفتاحية: الجزائر، إسبانيا، غرناطة، القضية الموريسكية، الدولة العثمانية

ABSTRACT

The relationship between Spain and Ottoman Algeria during the 16th century was mainly built on conquering the western basin of the Mediterranean Sea and it was particularly affected by the falling of Granada 1492 AD, and all the events that followed it (compulsory baptism, the expulsion of Muslims from the Iberian peninsula). Through this research, we aim to shed light on how the major events of the moriscos issue have echoed on the relationship between Spain and Algeria. Secondly, our research is also concerned by studying the ottoman authority response towards these events and also their impact on the ottoman Spanish relationship in general.

Keywords: Algeria; Spain; Granada; Moriscos Question; Ottoman Empire.

1. مقدمة:

عرف العقد الأخير من القرن الخامس عشر للميلاد العديد من الأحداث ساهمت في تغيير الخارطة السياسية والعسكرية للحوض الغربي للبحر المتوسط ، ولعل واحد من أهم هذه الأحداث إن لم يكن أهمها على الإطلاق هو سقوط غرناطة سنة 1492م، حيث كانت هذه الواقعة السبب الأول والمباشر للأحداث التي سوف تعرفها كل من شبه الجزيرة الإيبيرية وبلاد المغرب ابتداء من هذه الفترة إلى غاية يومنا هذا.

كانت غرناطة هي آخر المعاقل الإسلامية في أوروبا، هذه المملكة التي ظلت إلى غاية 1492م، الدعم العسكري والنفسي للمسلمين الموجودين في بقية الممالك التي استولى عليها النصارى في إطار ما كان يطلق عليه بـ "حروب الإسترداد" أو الـReconquista (م.1)، والتي كانت وجها آخر للحروب الصليبية التي تمت بقيادة الكنيسة من أجل التخلص من الإسلام.

بالمقابل، وفي هذه المرحلة بالضبط، كانت بلاد المغرب بما فيها المغرب الأوسط (الجزائر)، تعيش حالة من الصراع على السلطة بين الدول الحاكمة لهذه الرقعة الجغرافية، ولعل هذا هو السبب الأساسي الذي جعل غرناطة تسقط بدون مساعدة من العدو المغربي، وهو السبب نفسه الذي سوف يجعل هذه المنطقة هي الأخرى تقع في يد المسيحيين القادمين من شبه الجزيرة الإيبيرية.

إضافة إلى تغير موازين القوى التي تحدثنا عنها، نتج عن سقوط غرناطة العديد من المهجرات البشرية التي حملت إلى العالم الإسلامي بشكل عام وإلى بلاد المغرب بشكل خاص الآلاف من المهجرين الأندلسيين الذين وفروا للمنطقة طاقة بشرية هائلة شاركت في بناء العديد من المدن التي كانت في تلك الفترة شبه ميتة، كما كانوا أيضا السبب الأساسي الذي جعل الإسبان يهجمون على السواحل المغاربية حسب شهادات الكثير من المؤرخين.

فإلى أي مدى يعد هذا القول صحيحا؟ وكيف أثرت هذه الأحداث وغيرها على العلاقات بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط؟ خاصة مع مجيء قوة سياسية وعسكرية أخرى إلى المنطقة، هذه القوة التي لا تقل سلطة وتأثرا على الإمبراطورية الإسبانية الآخذة في النمو على حساب السواحل المغاربية والإفريقية والمستعمرات الموجودة في العالم الجديد، وكيف أثرت الأحداث التي جرت في شبه الجزيرة الإيبيرية في إطار ما يعرف بالقضية الموريسكية في العلاقة الجزائرية الإسبانية؟ وحتى في علاقة الدولة العثمانية مع إسبانيا؟

نهدف من خلال هذا البحث إلى دراسة أهم الأحداث التي عرفتها شبه الجزيرة الإيبيرية (1492-1571م)، خاصة تلك المتعلقة بالقضية الموريسكية كالثورات التي قام بها الموريسكيون بعد فرض عملية التعميد الإجباري عليهم، إضافة إلى معركة ليبانت (1571م) وكيف أثرت هذه الأحداث على العلاقة بين الجزائر وإسبانيا، أو بالأحرى كيف كانت ردة فعل الجزائر ومن ورائها الدولة العثمانية على هذه الأحداث؟

1. سقوط غرناطة 1492 م :

قبل سقوط غرناطة سنة 1492م، كانت العدو الأندلسية تعد جزءا من بلاد المغرب الإسلامي، بل إن العديد من الدول الإسلامية التي نشأت ببلاد المغرب كانت قد حكمت العديد من المناطق في شبه الجزيرة الإيبيرية (م.2)، كما أن الحركات البشرية من وإلى هاتين المنطقتين كانت دائمة وغير منقطعة، حيث أن حروب الإسترداد التي قادتها الدويلات المسيحية ومن ورائها الكنيسة كانت في بدايتها كانت سببا لارتباط بلاد المغرب بالأندلس أكثر، فقد كانت المساعدات العسكرية التي تتلقاها الدويلات الأندلسية مصدرها دوما العدو المغربي، لكن حالة غرناطة كانت مختلفة، فقد كانت هذه المملكة آخر معقل للإسلام السياسي في شبه الجزيرة الإيبيرية، وكما قلنا لم تكن بلاد المغرب في حالة سياسية أو عسكرية تسمح لها بتقديم المساعدة، وهو الأمر الذي عجل بسقوط غرناطة سنة 1492م، ومنه سقوط الأندلس لتتكون على أنقاضها ما يعرف بإسبانيا تحت حكم أسرة هابسبورغ (Bérenger, 1990).

بعد سقوط غرناطة، وعلى الرغم من الـ 47 بندا التي أمضى عليها الملوك الكاثوليك، والتي تعهدوا فيها بالحفاظ على الحرية الدينية والعقدية للمسلمين (Kettani, 1997, p. 615)، بدأت مرحلة جديدة من التواجد الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية، فعلى الرغم من انتهاء الوجود السياسي للإسلام، أي على الرغم من أنه لم تعد هناك منطقة محكومة من طرف حاكم، إلا أن الأهالي إلى هذه المرحلة مازالوا مسلمين، وبالتالي فإن الإسلام كدين لم ينقطع تماما من شبه الجزيرة الإيبيرية.

ومرة أخرى بعد تخلصها من الإسلام السياسي، حاولت الكنيسة التخلص من المسلمين ككل ومن الإسلام بكافة أشكاله حيث نجحت في ذلك بعد استصدار قرار الطرد النهائي بين سنوات 1609 و 1614، ولتكون الأمور أوضح، فإنها حتى قبل هذه المرحلة كانت قد بدأت حركتها القائمة على تطهير إسبانيا من غير المسيحيين سواء كانوا من المسلمين أو اليهود (م.3) أو حتى الغجر (م.4). بالنسبة للمسلمين، بدأ الأمر بإصدار العديد من المراسيم والقرارات التي كانت تمنع كل ممارسة للدين الإسلامي، ليس فقط الممارسات الشعائرية، وإنما امتد الأمر إلى كل ماله علاقة بالإسلام، من ذلك القرار الذي أصدرته السلطات الإسبانية سنة 1554م والذي يقضي بمنع الملابس الإسلامية واللغة العربية وحتى استعمال الحمامات (Dedieu, 2011, p. 19)، وغيرها من الممارسات التي كانت بالنسبة لهم ممارسات إسلامية حتى وإن لم تكن لها علاقة بالإسلام، وبالتالي فقد كانت السلطات الإسبانية المسيحية تحاول من خلال هذا لا التخلص من الهوية الأندلسية التي كانت مترسخة في نفوس المسلمين الذين بقوا تحت السلطة الإسبانية، ومن هنا بدأ ما عرف لاحقا في الدراسات التاريخية بالقضية الموريسكية.

2. القضية الموريسكية :

قبل الحديث عن القضية الموريسكية علينا أولا الحديث عن الموريسكيين، فمن هم الموريسكيون ؟

التفسير البسيط لهذا المصطلح الذي اختلف حول فهمه وتبنيه الكثير من المؤرخين (م.5)، هم المسلمون الأندلسيون الذين فرضت عليهم السلطات الإسبانية التعميد الإجباري سنة 1501م ، وقد جاء القرار في هذا العام بطرد مسلمي قشتالة وليون إلى الأراضي الإسلامية في حالة رفضهم للتعميد (Janer, 1857, p. 25)، وبالتالي فقد انتقل هؤلاء إلى صفة سياسية ودينية جديدة ابتداء من هذا التاريخ (Lecerf, 2009, p. 74)، فقد كانوا في البداية يعتبرون الرعايا المسلمين تحت السلطة المسيحية الجديدة، وانطلاقا من هذا التاريخ خيروا ما بين الهجرة أو تلقي التعميد والتحول إلى " مسيحيين جدد" (cristianos nuevos) (م.6)، لكن اللقب الأشهر الذي أطلق عليهم وبقي إلى يومنا هذا يعبر عنهم هو مصطلح الموريسكيين.

أما بالنسبة للقضية الموريسكية أو كما يطلق عليها " بروديل" (Braudel) مصطلح " المشكلة الموريسكية" (م.7) فهي كل القضايا المتعلقة بالموريسكيين خلال الفترة الحديثة، أي منذ فرض التعميد الإجباري إلى غاية إقرار الطرد النهائي ولاحقا حين تحولت إلى موضوع بحوث تاريخية لتحمل اسم تخصص " الدراسات الموريسكولوجية" (م.8). كان حيز القضية الموريسكية قد اتسع ليشمل حيزا جغرافيا أكبر من الأندلس أو من شبه الجزيرة الإيبيرية، حيث دخلت ضمن إطاره أيضا مناطق هجرة الأندلسيين أو البلدان التي استقبلت هؤلاء المطرودين من أراضيهم، أما بالنسبة للحيز الزمني فقد اتسع ليشمل تقريبا أربعة قرون من القرن الخامس عشر إلى غاية منتصف القرن التاسع عشر، حيث أثرت هذه القضية على العديد من قرارات السلطات الإسبانية (م.9).

3. التواجد الإسباني على السواحل المغربية :

بدأت التحرشات الإيبيرية بسواحل بلاد المغرب عن طريق الحملات البرتغالية خاصة في النصف الأول من القرن الخامس عشر، حيث تمكنت من السيطرة على العديد من المدن في المغرب الأقصى بشكل أساسي انطلاقا من 1415م حينما احتلوا مدينة سبتة (صقر، 2017، صفحة 414)، ولاحقا انضمت إسبانيا إلى هذا النشاط الإستعماري، والحقيقة أن تأخر إسبانيا عن هذه الحركة الإستعمارية يعود بالدرجة إلى انشغالها بالمشاكل الداخلية التي كانت تعيشها، والمشاكل هنا تتمثل أساسا في التواجد الإسلامي على أراضيها، ومع توحيد الإمارات المسيحية تحت دولة واحدة، أصبحت إسبانيا واحدة من أنشط الدول الإستعمارية في القرن السادس عشر، وأصبحت بذلك تنافس البرتغال التي كانت هي الأخرى قد قطعت شوطا كبيرا في هذا النشاط الذي لا تزال الكتب الدراسية والكتب التاريخية العربية تطلق عليها اعتبارا باسم حركة الكشوف الجغرافية التي لم تكن في الحقيقة إلا وجها مبكرا من الحركة الإستعمارية الأوروبية.

بعيدا عن كون الأندلسيين المسلمين السبب في هذه الحركة الإستعمارية لهجومهم على السواحل الإسبانية أو ما يطلق عليها في الأدبيات الغربية اسم "La Piraterie sarrasine" (Guichard, 1983, p. 55) التي من الممكن ترجمتها إلى " القرصنة الإسلامية"، هذه النظرية القائمة على أن الهجومات الأندلسية كانت قد وجدت صداها

في العديد من الأدبيات التاريخية الغربية سواء متمثلة في المصادر كـ"هايدو" (Haedo) على سبيل المثال الذي أطلق عليها إسم " حملات الإنتقام" (Haedo, 1870, p. 19) ، أو التركية (إلتر، 1989، صفحة 17) أو حتى المحلية (حموش، 1999، الصفحات 222-223) والتي شاعت على أنها حقيقة تاريخية لا يمكن الهروب منها، إلا أنه لا يمكن أبدا إنكار الأسباب الاقتصادية والدينية التي أدت بإسبانيا للخروج من شبه الجزيرة الإيبيرية والوصول إلى سواحل إفريقيا، وإن نظرة واحدة إلى الوصية التي تركتها الملكة إيزابيلا نستطيع من خلالها أن نلمح أثر الفكر الديني في هذه الحرب، حيث قالت: "...لا يجب أن تتوقفوا عن غز و إفريقيا، كما أنه لا يجب أن توقفوا حركم ضد غير المؤمنين..." (Grammont, 1887, p. 5)، وحتى لا ننسى فإن مثل هذه الوصية لا يمكن أن تكون غريبة على " إيزابيلا" التي سميت هي و "فيرديناند" بالحكام الكاثوليك، وهو اللقب الذي احتفظت به السلطة الإسبانية لفترة طويلة.

وعلى الرغم من أن " بروديل" يرى أن الإستعمار الإسباني للسواحل الإفريقية له علاقة مباشرة بحرب غرناطة كما يسميها، إلا أنه ينظر إليها من منظور آخر، حيث يعتبر أنه من الطبيعي أن يتصرف الملوك الكاثوليك بهذه الطريقة، فبعد امتلاكهم لسهل غرناطة الغني وكذلك الجانب المتوسطي من الأندلس مع موائته المهمة، كان من الطبيعي أن يحاولوا بعد هذا الوصول إلى إفريقيا (Braudel F. , Les Espagnols e, Afrique du Nord de (1928, p. 193, 1577 - 1492، ومن هنا نستطيع أن نلمح أن بناء إمبراطورية على حساب العالم الإسلامي كان هدفا لإسبانيا، كما نلمح أيضا أن الأطماع الاقتصادية لم تكن بعيدة أبدا عن مخططاتهم.

هذا النشاط الإستعماري الإسباني للسواحل المغاربية رسم حدودا للعلاقة بين هذه الدول وبين إسبانيا، وكان الأمر قد تطور من حالة التحالف مع القوى الحاكمة حيث كانت مدينة الجزائر على سبيل المثال تدفع ضريبة لإسبانيا وهو الأمر الذي ذكره الأهالي في رسالة طلبهم الانضمام للدولة العثمانية (التميمي، 1976، صفحة 120)، إلى علاقة عداة واضح بعد سيطرة الإخوة بربروس على بعض المدن التي استعمرها الإسبان، وانطلاقا من هذه الفترة تراجع نفوذ إسبانيا بالمغرب الأوسط الذي سيتحول في بداية القرن السادس عشر إلى إيالة عثمانية أو إيالة الجزائر العثمانية، ليتحول الصراع إلى صراع إمبراطوريات تحدف للسيطرة الدينية والإقتصادية على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط أو كما قال بعض المؤرخين أن هذا الصراع أصبح إحدى ثوابت التاريخ المتوسطي في القرن السادس عشر (ملين، 2013، صفحة 7)، وقد استمر هذا الصراع إلى غاية فتح وهران الثاني سنة 1791م التي كانت آخر النقاط الإسبانية في إيالة الجزائر (Ba, 2010, p. 161).

4. الدولة العثمانية والقضية الموريسكية:

لقد كانت القضية الأندلسية منذ البداية قد لاقى اهتماما كبيرا من طرف السلاطين العثمانيين، ليس فقط لأنها القضية الإسلامية الأولى في تلك الفترة، وإنما أيضا لأن الدولة العثمانية وقتها كانت تطمح للوصول إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط، ومنه فقد كانت هذه القضية بوابة مناسبة للدخول إلى هذه المنطقة، وكان هذا الإهتمام قد بدأ حتى

قبل سقوط غرناطة سنة 1492م، حيث أرسل وفد أندلسي إلى السلطان "بايزيد الثاني" سنة 1487م، حيث شرح هذا الوفد المأساة التي كان يعاني منها الأندلسيون في المنطقة، وكانت ردة فعل السلطان العثماني أن أرسل أسطولاً لمراقبة السواحل الإسبانية (Temimi, 1983, p. 300)، كان هذا الأسطول برئاسة "كمال ريس" (م.10)، الذي قام بضرب السواحل الإيطالية الجنوبية ثم دخل إلى المياه الإقليمية الإسبانية وهناك من المراجع من ذهب إلى القول بأنه استعاد السيطرة على مدينة مالقة (أوزتوك، 2008، صفحة 204)، وكان لهذه الحملة أثر كبير على رسم علاقة الدولة العثمانية مع إسبانيا، كما كان لها أثر على تبنيها للقضية الموريسكية.

و أصبح هذا الدعم أكبر مع وصول الإخوة بربروس إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط، وتجدد الإشارة هنا إلى أن إهتمامهم بالقضية الأندلسية لم يكن فقد وليد ارتباطهم بالدولة العثمانية، فحسب مذكرات "خير الدين" فإنهم كانوا يقومون بمجماتهم على السواحل الإسبانية في الفترة الأولى من وجودهم في حلق الواد بتونس (المجهول، 2010، صفحة 67)، بل إن "جون وولف" يذهب أبعد من هذا حين يقول بأن "خير الدين" كان يهدف إلى إعادة فتح الأندلس وأنه كان يرى بأن هذا الأمر هو هدف هام للإسلام ككل (وولف، 2011، صفحة 36)، وعلى الأرجح فإن إختلاط الإخوة بربروس بالأندلسيين الذين كانوا موجودين بالمدن المغاربية هو الأمر الذي وسع وعيهم بهذه القضية أكثر، كما أن وجود الإسبان في هذه المدن هو أكبر دليل على عملية التوسع التي كانت تقودها إسبانيا المسيحية على حساب دار الإسلام، ولعل ارتباط الدولة العثمانية بفكرة الجهاد والغزو التي قامت عليها والتي كانت أساس سياستها على الأقل في القرون الأولى من وجودها هو الأمر الذي ساهم في دعمها للقضية الأندلسية بشكل متزايد.

وتجدد الإشارة هنا إلى أن هناك أمر آخر ساهم في هذا الإرتباط هو الأندلسيين أنفسهم، بحيث أنهم كانوا يعتبرون الدولة العثمانية ملجأهم بعدما خذلوا من طرف العديد من الحكام المسلمين الآخرين، أحيانا بسبب الصراعات الداخلية التي كانت تعاني منها هذه الدول كما هو الحال مع دويلات بلاد المغرب التي لم تكن بعيدة عن نفس المآل، وأحيانا بسبب الصراعات فيما بينها مثلما كان عليه الأمر في فترة سقوط غرناطة، حيث كان كل من الدولة العثمانية والمماليك يعيشون حالة من الصراع، وهذا الصراع هو السبب حسب بعض المؤرخين في التخاذل الذي حدث خاصة من طرف الدولة العثمانية في هذه الفترة (أوزتوك، 2008، صفحة 204)، وقد كانت صورة العثمانيين تتعاضد أكثر في نفوس الأندلسيين، هذه الصورة التي كانت قد تشكلت انطلاقاً من فتح القسطنطينية سنة 1453م الحدث الذي اعتبره الأندلسيون نصراً لهم (Epalza, 1983, p. 165).

والحقيقة أن تبني قضية الأندلسيين أصبح أمراً أساسياً ليس فقط في سياسة الدولة العثمانية وإنما حتى في سياسات الإيالات التابعة لها خاصة الإيالات المغاربية وبشكل خاص تونس والجزائر، بل إن بعض الباحثين ذهب إلى القول أن السبب الذي جعل البايات التونسيين يسعون لاستقبال أكبر عدد من الأندلسيين هو رغبتهم الشديدة في التقرب من الباب العالي ضد الجزائر، حيث أن هذا الأمر كان بالنسبة لهم خطوة سياسية مهمة (Rejeb, 2009, p. 320)، وهذا الأمر يثبت مدى تمسك السلطة العثمانية بهذه القضية.

5. العلاقة الجزائرية الإسبانية في القرن 16م:

لقد كانت العلاقة الجزائرية الإسبانية قائمة على علاقة مستعمر بمستعمر، بحيث أن الكثير من المدن الجزائرية كانت واقعة تحت السيطرة الإسبانية، لكن هذا الأمر تغير مع مجيء الإخوة بربروس وانضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية، ومن هنا بدأت مرحلة جديدة في العلاقات الجزائرية الإسبانية.

لكن هذا لا يعني أن طبيعة العلاقات قد تغيرت في هذه المرحلة، فقد بقي العداء هو الشكل الأساسي لهذه العلاقة خاصة وأن وهران بقيت تحت السلطة الإسبانية إلى غاية نهاية القرن 18م، وبالتالي فإن أي إمكانية لخلق علاقة ودية مع إسبانيا هو أمر لم يكن أبدا في الحسبان.

وبعيدا عن علاقة الإستعمار فقد كان للوجود الأندلسي بالإيالة دور كبير في الحفاظ على علاقة العداء بين الدولتين، وهذا التواجد في الحقيقة لم يكن وليد الفترة الحديثة، فلطالما كانت عمليات الهجرة تتم بين العدوتين المغربية والأندلسية طيلة قرون، بل إن هناك أسرا أندلسية حكمت العديد من الدويلات في المغرب الأوسط كأسرة بني حمدون التي حكمت المسيلة (280-392هـ) (خليفي، 2007-2008م، صفحة 65)، وكان لصدمة حروب الإسترداد أثر في تزايد الهجرات إلى بلاد المغرب الأوسط وإلى بجاية بشكل خاص (Valérian, 2002, p. 316)، لكن الهجرات التي تمت بعد سقوط غرناطة 1492م كان لها طابعها الخاص من حيث أنها كانت هجرات مفروضة من جهة وأن أعدادها كانت مرتفعة من جهة أخرى.

أما إسبانيا فقد اتخذت بعد انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية سياسة أخرى لا تقل عداوة عن الأولى بل إنها أكثر شراسة، بحيث أنها أصبحت تتحالف مع كل القوى الأوروبية من أجل إسقاط الجزائر التي أصبحت قوة لا يستهان بها في المتوسط، ويروي كل من كاتب "مذكرات خير الدين" الهجوم الأول الذي قامت به إسبانيا بمجرد دخول عروج إلى مدينة الجزائر (المجهول، 2010، صفحة 78)، وكذلك صاحب "الزهرة النيرة" كان قد أشار إلى أن هذه الحملة التي وقعت سنة 1518م (سعيد، 2017، صفحة 95).

ولعل حملة شارلكان سنة 1541م تعد الحملة الأكبر في القرن السادس عشر، وعلى الرغم مما قيل عن أسباب هذه الحملة كانتقامه من الدولة العثمانية بسبب حملتها على المجر (Villegaignon, 1874, p. 83)، أو أن السبب الأساسي هو استيلاء أحد الرياس على سفينة أرسلها "شارل الخامس" إلى وهران كانت تحمل أموالا و بضائعا كثيرة (Fagnan, 1891, p. 179)، إلا أن التهديد الذي كانت تمثلها الجزائر هو أساس هذه الحملة، وقد كانت تهدف إلى استعادة الجزائر أو على الأقل التخلص نهائيا من الوجود العثماني فيها ليلحقها بتونس التي خضعت له بعد حملته عليها سنة 1535م (درويش، 2017، الصفحات 1-12)، فلو أن القضية كانت تتعلق بتهذيب الأسطول العثماني لكان ذلك من الممكن أن يتم في مكان آخر غير الجزائر، ولو كان الأمر متعلقا بالاستيلاء على سفينة لما كلف "شارلكان" نفسه كل تلك الخسائر من أجل تجهيز كل ذلك الأسطول (م.11).

وعلى الرغم من الخسارة التي منيت بها قوات " شارلكان" إلا أن هذا النوع من الحملات لم يتوقف طيلة القرن السادس عشر والقرون التي تلتها، أحيانا كانت في شكل حملات فردية وأحيانا أخرى في شكل تحالفات أوروبية لم تكن إسبانيا تتوانى عن المشاركة فيها.

لكن المواجهات بين القوة العثمانية متمثلة فالسلطة العثمانية بالجزائر لم تكن تتم فقط بهذا الشكل، فقد كانت هناك معارك مباشرة في مناطق أخرى ولعل أهمها وأكثرها تأثيرا هي معركة " ليبانت" سنة 1571، لكن قبل الحديث عن هذه المعركة علينا أولا أن نعرف الظروف التي جعلت هاتين القوتين تتواجهان بطريقة مباشرة.

إن الحديث عن الظروف التي أدت إلى معركة ليبانت تعيدنا للحديث عن حالة الموريسكيين في إسبانيا، فبعد أن أخلف الملكين الكاثوليكين بالوعود التي قطعهاها للأندلسيين كما سبق وقلنا وفرضهم لعملية التنصير التي كانت مرفوضة جملة وتفصيلا (كربخال، 2012، صفحة 154) كان يجب أن يكون هناك ردة فعل من قبل الأندلسيين فكانت الثورة الأولى (1499-1501) التي عرفت باسم ثورة البشارات الأولى أو ثورة البشارة حسب "بشتاوي" (بشتاوي، 1983)، وقد استغلت السلطات الإسبانية هذه الحرب في التضييق على الأندلسيين أكثر، لكن ثورة أخرى قامت في نفس المكان وكانت بين سنوات (1568-1571م)، وكانت هذه الثورة أشد وطأة على السلطات الإسبانية، خاصة بدخول الدولة العثمانية على خط الأحداث، فكيف تم ذلك؟

1.4. الموريسكيون أو الطابور الخامس للعثمانيين:

إن الحديث عن العلاقة بين الدولة العثمانية والأندلسيين أو ما يعني في الأدبيات التاريخية الإسبانية قضية الطابور الخامس حسب تعبير " جوان ريقلا" (Joan Regla) (Ibarra, 2009, p. 241)، ويقصد بالطابور الخامس أنهم كانوا جواسيس للعثمانيين في الأراضي الإسبانية، هو أمر قد حيزا كبيرا من البحث والدراسة، بل إن هذه النظرية وجدت أصداء لها حتى في أوساط المؤرخين العرب، وهنا نجد أنفسنا أمام تفسيرين مختلفين للموضوع، فبينما نجد المؤرخون الغربيون والإسبان منهم على وجه الدقة يعتبرون هذا التعاون دليل على خيانة الموريسكيين للسلطة الإسبانية التي كانوا يعيشون في كنفها، كان المؤرخون العرب يعتبرونه دليلا على تمسك الأندلسيين بأراضيهم وسعي من السلطات العثمانية على مساعدتهم.

ويذكر الأستاذ التميمي ما يؤكد أن هذه النظرة كانت منتشرة في كل أوروبا، حيث اعتبر قنصل البندقية وقتها أن عددا كبيرا من الموريسكيين كانوا يمتنون الترجمة أو الإستخبارات (التميمي، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين، 1989، صفحة 12)، وبالتالي فقد كان الكل مقتنع بأن الموريسكيين لم يكونوا إلا عضوا دخيلا في الجسد الإسباني.

لقد كان ارتباط الأندلسيين بالدولة العثمانية هو ارتباطهم بالقوة الإسلامية الوحيدة التي أبدت وتبدي رغبة في مساعدتهم والوقوف إلى جانبهم، وكان ارتباطهم بالجزائر جزء من هذا الإرتباط حيث كانوا يعتبرونها الممثل الأول للدولة

العثمانية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وبالتالي فقد كان أملهم فيها لا يقل عن أملهم في الدولة العثمانية، ويبدو بأن هذا الأمر لم يكن فقط في مرحلة الثورة ولم يكن خاصا بفترة محددة، حيث يذكر الأستاذ "لوي كاردياك" أنه في سنة 1597- أي بعدما فشلت ثورة البشارات الثانية- كان أحد الموريسكيين يطلب الصدقة فأطلق عليه المسيحيون الكلاب، فقال بأنه يأمل أن يحمله الشيطان إلى بلاده (الجزائر) وأنه سوف يحرق كل المسيحيين الموجودين هناك (كاردياك، 1983، صفحة 81)، بإمكاننا أن نلمح من خلال هذه الحادثة أن الجزائر أصبحت في الفكر الجمعي الموريسكي الملجأ والبلد.

ويبدو بأن هذا التعلق الذي أبداه الموريسكيون اتجاه الدولة العثمانية كان له تأثير كبير على العلاقة المسيحية الموريسكية، حيث عاش المسيحيون دوما تحت ضغط عودة المسلمين من شمال إفريقيا كما كانوا يسمونها، وقد توضح هذا بشكل كبير في تصرفاتهم وفي خوفهم الشديد من كل ما له علاقة بالعثمانيين، حيث تحول العثمانيون والمسلمون بشكل عام إلى هوس كبير بالنسبة للمجتمع الإسباني (Llopis, 2018, p. 73).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن فكرة الطابور الخامس لم تكن أبدا مقتصرة على العثمانيين، أي أن الموريسكيين لم يكونوا متهمين فقط بالتخابر والتعامل مع العثمانيين، بل كانوا أيضا متهمين بأنهم كانوا حلفاء للبروتستانت هذه الحركة الدينية الجديدة المناهضة للكاتوليكية التي ظهرت في ألمانيا في 1517م، وكانت إسبانيا تعتقد أن هذا التحالف كان يعتبر تهديدا مزدوجا لها ولسياستها الكاثوليكية (Cardillac, 1971, p. 29)، ومنه بإمكاننا القول أنه كان دوما ينظر إليهم على أنهم العدو الأول للمجتمع والسلطة الإسبانية.

والحقيقة أن القول بكون الموريسكيين طابورا خامسا سوف يكون له أبعاد أكبر في الفترات اللاحقة، حيث عمدت الطائفة المؤيدة لهذا الرأي من رجال الدين والسلطة الإسبانية إضافة إلى المؤرخين في فترة لاحقة إلى التأكيد على هذه النظرية، هذه الفئة التي أطلقت عليها الأستاذة "أرينال" (G.Arenal) اسم "اليمين" (إيبارا، 2005، صفحة 25)، هذا الرأي نجده متجسدا في كلام "بيدرو البنسي" (Pedro de Valencia): "...إنهم ليسوا عشرة، ولا مائة ولا مائة ألف، بل أكثر من ذلك هؤلاء الجنود والجواسيس الذين ينتمون إلى ديانة إسماعيل..." (Ducharme, 2014, p. 162)، وكان هذا الرأي في النهاية سببا في عملية طرد الموريسكيين سنة 1609م.

2.4. الجزائر وحرب البشارات الثانية:

تعتبر حرب البشارات الثانية حدثا مهما ليس فقط في القرن السادس عشر، بل إن النتائج المترتبة عن هذه الحرب سوف تستمر إلى غاية القرن السابع عشر، إذ أن هذه الحرب أظهرت للمجتمع الإسباني المسيحي وللسلطات الكنسية والسياسية في إسبانيا أن هؤلاء الذين عمدوا منذ عقود مازالوا هنا، لقد جعلت هذه الحرب المسيحيين القدامى يخافون لأنهم إلى غاية هذا التاريخ كانوا يعيشون في مدحهم دون أن يفكروا نهايا فيما أطلق عليهم لاحقا اسم القضية الموريسكية (C.Colongue, 1970, p. 137).

إن الحديث عن حرب البشارات الثانية (1568 - 1571م) يدعونا بالضرورة إلى الحديث عن مشاركة الجزائر في هذه الحرب، وكانت هذه المشاركة متمثلة في شخصية " العلي علي " أو " أولوج علي"، والذي لعب دورا محوريا في هذه الأحداث، بل وفي العلاقة بين العثمانيين وإمبراطورية الهابسبورغ أولا كوالي لطرابلس الغرب (1565-1568م)، أو كبلرباي للجزائر (1568 - 1572م) وفي النهاية كقائد عام للأسطول العثماني (قبودان باشا) (1572 - 1587م) (Gürkan, 2014, p. 124)، أما بالنسبة لحرب البشارات فإن أغلب المصادر والمراجع تؤكد على أن بلرباي الجزائر في تلك المرحلة كان يعتزم إرسال الجنود إلى إسبانيا من أجل مساعدة الموريسكيين النافرين في جبال البشارات.

وتؤكد بعض الرسائل التي أرسلها السلطان العثماني لبلرباي الجزائر اهتمامه بحالة الأندلسيين، حيث أرسل " العلي علي " رسالة إلى السلطان العثماني أطلعته فيها على أحوالهم، وهو ما نلمحه في الخط الهيمايوني الموجه له والمؤرخ بـ 979هـ/جوان 1571م، جاء فيه ما يلي: "...كما وردت رسالة المشار إليه علي... أن مسلمي الأندلس لم ينفكوا لحد الآن من الحرب والنضال ضد زمرة المشركين، حتى ضعفت أجسادهم من الجوع في النهاية ولم تعد لهم طاقة، واضطر المسلمون (المعلقون) في السواحل إلى طلب الأمان، أما الموجودون على قمم الجبال فما زالوا يواصلون قتالهم..."، ويواصل في نفس الرسالة الحديث عن القضية، حيث طلب منه الإغارة على سواحل وجزر إسبانيا، كما طالبه بإرسال التفاصيل أولا بأول، وهذه الوثيقة محفوظة في الأرشيف العثماني تحت رقم: مهمة دفتري 10 ص 12-13، حكم 14 (بيات، 2019، الصفحات 207-208).

إننا نتحدث هنا عن سنة 1571م، أي السنة التي انتهت فيها حرب البشارات، ومع ذلك يبدو بأن اهتمام الدولة العثمانية بالحرب ما زال قائما وأن محاولة مساعدة الثوار لم تتوقف، لكن هل انتقلت هذه الأوامر إلى حيز التنفيذ؟ أم أنها فقط بقيت على الورق، وهل كانت هناك مساعدات فعلية أم أن الإسبان كانوا يضخمون هذا المجهود العثماني حسب تعبير " بروديل " (Braudel f. , 1990, p. 526)؟

تؤكد أغلب المصادر وحتى الوثائق التي نشرها بعض الباحثين أن العلي علي فعلا كان قد اتصل بالثوار، فقد ذكر "أي غافيرا" (Y Gaviña) أن قادة الثورة كانوا قد تلقوا بعض الدعم من مسلمي الجزائر (غافيرا، 2010، صفحة 118)، ومن المصادر التي عايشت تلك الفترة نجد " دي مندوثا " الذي أشار في مواقع عديدة إلى لجوء الموريسكيين لطلب المساعدة من إخوانهم المسلمين (مندوثا، 2008، صفحة 50).

وقد ظهر هذا الأمر في مجموعة من الرسائل مؤرخة بالعدد من ذي القعدة 977هـ/ 16 أبريل 1570م، أهمها تلك التي كانت مرسله مع المبعوث السلطاني " خليل جاووش الجزائري " (Cezayerli Halil Çavuş)، وكانت موجهة إلى بلرباي الجزائر " العلي علي"، والتي يتوضح فيها اهتمام السلطان العثماني بالثورة الموريسكية (Hess, 1968, pp. 13-14)، وعلى الرغم من الاختلاف في التاريخ - الشهر فقط -، إلا أنها لا تختلف عن الوثيقة التي تحدثنا عنها سابقا، والتي كما هو موضح فيها جاءت بعد رسالة كان " العلي علي " نفسه قد أرسلها للسلطان العثماني، فهل من الممكن أن تكون هي نفسها؟ إذا استثنينا أن الرسالة التي تحدثنا عنها مؤرخة بشهر جويلية بينما

الرسالة التي ذكرها " أندرو هس" (Andrew Hess) مؤرخة بشهر أفريل، وهو الأمر الذي من الممكن تفسيره بالإختلاف بين تاريخ الإرسال وتاريخ الإستقبال. على الرغم من أن هذه الرسائل تؤكد اهتمام الدولة العثمانية بالقضية الأندلسية وبالثورة على وجه التحدي، إلا أننا نعتقد أنها لا تبين بشكل واضح طبيعة هذه المساعدات.

هذه التفاصيل نجدتها في كتاب حرب غرناطة والذي يعد من المصادر التي عايشت الحدث، يقول فيه " دي مندوتا" بأن العلي الذي يسميه " ملك الجزائر" تعطل بعدم مقدرته على إرسال الأسطول لمساعدتهم لأنه كان في انتظار الأوامر من السلطان العثماني، وهذا الكلام يبدو أنه انتشر أيضا في المراجع العربية، حيث يؤكد بأنه اتفق مع ملك فاس فسمح لبعض الرجال والتجار الأندلسيين المسلمين الذي كانوا قد نزحوا إلى أراضي المغرب بالإنضمام إلى صفوف الموريسكيين في غرناطة مقابل أجر (مندوتا، 2008، صفحة 51).

بالنسبة لنوعية المشاركة التي قدمها العلي فقد تمثلت حسب بعض المراجع في إرسال حوالي 100 من الإنكشارية إضافة إلى 4000 بندقية، وقد وصلت حوالي 40 سفينة ورسست بالقرب من ألمرية (Etchiali, L'Emoire Ottoman et la contribution de Euluj Ali Rais - Keletch Ali Pacha- a sa puissanceet a sa Gloire, 2018, p. 264)، وبالتالي حسب هذه المعطيات فإن المساعدة التي تحدثت عنها المصادر والمراجع الإسبانية خاصة كانت مساعدة حقيقة ولم تكن مجرد تصورات.

وعلى الرغم من هذا، فقد جاءت العديد من الآراء التي ترى بأن العلي كان قد أظهر موقفا فاترا فيما يخص هذا الأمر، إذ أنه إهتم بتحسين مدينته بدل مساعدة الثوار، وأنه إستغل هذه الثورة لتوسيع ولايته من خلال فتح تونس (رزوق، ب.ت، صفحة 95)، وهذا الكلام فيه وجهة نظر بعيدة عن الحياد وبعيدة عن الموضوعية التاريخية، بحيث أن انضمام تونس إلى الدولة العثمانية لا يقل أهمية عن هذه الثورة، كما أن انضمام تونس (1574م) كان قد حدث ثلاثة سنوات بعد إنتهاء الثورة الموريسكية، بينما تعتبر بعض المراجع الأخرى السبب في انتهاء هذه الثورة هو هزيمة ليبانت سنة 1571م (رزوق، ب.ت، صفحة 25).

الحقيقة أنه بإمكاننا النظر إلى الأمر في إطار أبعد من هذا، بحيث أن الدولة العثمانية في هذا الفترة كانت تحضر لوحدة من أكبر الحملات التي قادتها في القرن السادس عشر وهي الحملة على قبرص سنة 1570-1571م (Burkiewicz, 2022)، ومرة أخرى نجد أنفسنا أمام هذا التاريخ المهم، وبالتالي فقد اجتمعت ثلاثة أحداث تاريخية كبرى فيه أولا انتهاء ثورة البشارت، وكذلك معركة ليبانت وأيضا ضم قبرص للدولة العثمانية، ونفهم من هذا أن توزع القوات العثمانية هو الأمر الذي جعل التركيز على دعم الثوار الموريسكيين أمر صعب.

3.4. معركة ليبانت 1571م المواجهة العثمانية الإسبانية:

تعد معركة ليبانت سنة 1571م واحدة من أكبر المعارك الكبرى التي جرت بين الأسطول العثماني والأسطول الإسباني، بل يذهب بعض الدارسين إلى القول بأنها كانت أكبر معركة عرفها البحر الأبيض المتوسط (Klemen Pust, 2012, p. 6)، وعلى الرغم من أن الكثير من المواجهات كانت قد حدثت بين هاتين القوتين الساعيتين

للسيطرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط، إلا أن معركة ليبانت كانت قد أحيطت بزخم كبير خاصة في المصادر الغربية التي أشادت كثيرا بهذا الانتصار المسيحي، كما أن هذا الحدث ربط كثيرا بالإنسحاب العثماني من هذه المنطقة، وعلى الرغم مثلا من الأهمية الكبيرة لاستعادة تونس (1574م) وأهمية استعادة وهران لاحقا (1791م)، إلا أن هذه الهزيمة التي ألحقت بالأسطول العثماني ظلت دوما تلاحقه، حتى أن البعض وصفها بأنها كانت "كارثة على العثمانيين" (Hess, The Battle of Lepanto and it's Place in Mediterranean History, 1972).

كان للهزيمة في معركة ليبانت وقع كبير على نفسية الموريسكيين، بحيث أن الأحداث التي كان يشهدها العالم الإسلامي كانت دوما ما تؤثر مباشرة فيهم وفي علاقتهم مع السلطات الإسبانية ومع المسيحيين القدامى الذين كانوا يعيشون حالة من الرعب طيلة سيطرة الأسطول العثماني على الحوض الغربي للبحر المتوسط، هذه الهزيمة التي جعلت الموريسكيين ينظرون إلى طريق الهجرة مرة أخرى (Hess, The Battle of Lepanto and it's Place in Mediterranean History, 1972, p. 61) بينما كانت الثورة تغريهم بالبقاء في أراضيهم.

الحقيقة أن هذه المعركة وعلى الرغم من أهميتها، إلا أنها صورت على أنها الهزيمة النهائية للعثمانيين في الكثير من المراجع، وما زالت الدراسات التاريخية الغربية إلى فترتنا هذه تقوم بدراسة هذه المعركة كما أنها انتقلت إلى دراسة هيستوريوغرافية الحدث، والملاحظ هنا أنه على الرغم من أن الجزائر لعبت دورا هاما في هذه المعركة إلا أننا لا نجد دراسة مخصصة لهذه المعركة في الدراسات التاريخية الجزائرية.

كما قلنا فقد شاركت الجزائر في هذه المعركة باعتبارها ولاية عثمانية، ونجد هذا يتضح في العديد من فرمانات التي أرسلها السلطان العثماني لوالي الجزائر، حيث جاء في فرمان المؤرخ ب 5 جمادى الأولى 979هـ/ 25 سبتمبر 1571م، يقول فيه: "...إبلاغ بكلكريكي جزائر الغرب بأن أرجاء الجزائر الغرب تنعم بالأمن والأمان، وأن هناك حاجة إلى حوالي ألف فرد من الكونوللية..."، وهذه الوثيقة محفوظة في الأرشيف التركي تحت رقم (مهمة دفترتي 16، ص 327، حكم 632) (بيات، 2019، صفحة 210)، و الكونوللية هي الكلمة العثمانية للجنود، وقد إلتقى الأسطول الجزائري بالأسطول العثماني أمام كريت (Yildirim, p. 541)، وبالتالي فقد أرسلت الجزائر في هذه المرحلة 1000 من الإنكشارية للمساعدة في هذه المعركة، وهو الأمر الذي من الممكن أن يكون قد منع العليج علي في هذه المرحلة من تزويد ثوار البشارات بالرجال والسلاح، خاصة وأنه انشغل بعد هذه الهزيمة بإعادة بناء الأسطول العثماني (Imber, 2010, p. 86).

خاتمة:

لا يمكننا الحديث عن العلاقة الجزائرية الإسبانية في القرن السادس عشر دون ربطها ربطا مباشرا ببعض الأحداث الأساسية التي جرت في هذه الرقعة الجغرافية، أولا سقوط غرناطة 1492م، ثانيا الهجمات الإسبانية على السواحل المغاربة، وثالثا الثورات الموريسكية، ومنه فإننا من خلال هذا المقال نستنتج أن العلاقة التي كانت موجودة بين العودة

الأندلسية والعدوة المغربية في الفترة الوسيطة تواصلت إلى غاية الفترة الحديثة ، فقد كانت الأحداث في شبه الجزيرة الإيبيرية تؤثر على بلاد المغرب تأثيرا مباشرا.

كما نستنتج أنه لا يمكننا أبدا فهم الأحداث التي عرفها الحوض الغربي للبحر المتوسط دون الرجوع إلى القضية الموريسكية وإلى سقوط غرناطة التي كانت سببا مباشرا في تغير موازين القوى في هذه المنطقة الجغرافية، هذا من جهة ومن جهة أخرى، فإنه يتجلى لنا من خلال المقال أن تأثير القضية الموريسكية لم يكن يمس فقط الجانب الاجتماعي، أي لم يتجلى فقط في ارتفاع عدد الأندلسيين الموجودين في بلاد المغرب، وإنما كان له تأثير مباشر على السياسة التي تبنتها هذه القوى السياسية في مواجهة إسبانيا، ونقصد هنا بالقوى السياسية الجزائرية بشكل خاص والدولة العثمانية بشكل أعم.

الملاحظات :

1. إن هذا المصطلح يبدو مصطلحا حديثا، بحيث أنه من الممكن رده إلى القرن الثامن عشر، لكن المعنى وراء المصطلح يعد مفتاحا أساسيا في التاريخ الإسباني، بحيث أن معناه كان قد ظهر في الكتابات الإسبانية انطلاقا من القرن الثاني عشر للميلاد (12م)، ومعناه العام هو الحركة العامة التي قادها المسيحيون من أجل إعادة الأراضي التي خسروها خلال الوجود الإسلامي في المنطقة خلال القرن الثامن للميلاد (8م) (Quesda, 2002, p. 23).
2. ينتمي كل من المرابطين والموحدين إلى طائفة من القبائل البربرية التي حكمت بلاد المغرب على مر عصور طويلة، فالمرابطون ينتمون بالأخص إلى ملتونة وكدالة ومسوفة، وينتمي الموحدون بالأخص إلى هرغة ومصمودة و هنتانة و كومية، وقد نشأت كلتا الدولتين المرابطية والموحدية في ظروف مشابهة حيث قامت كل واحدة منهما على أسس دينية وهو الأمر الذي رسم لاحقا سياسة كل منهما (عنان، 1990، صفحة 26).
3. يعتبر اليهود جزء لا يتجزأ من التكوين البشري لشبه الجزيرة الإيبيرية، بحيث ان وجودهم كان مترسقا في هذه المنطقة ولا يمكن معرفة التاريخ المحدد لتواجدهم بها، إلا أن بعض المؤرخين يعتقد أن وجودهم بالمنطقة يعود إلى حوالي 300م، وربما حتى يعود إلى فترة أطول من ذلك (Roth, 1992, p. 17).

وكان اليهود عنصرا مهما في الحياة العامة للأندلس الإسلامية، لكن الأمر اختلف مع سيطرة المسيحيين على المدن الأندلسية فبدأت تظاههم العديد من التجاوزات انتهت بمرسوم 31 مارس 1492م، الذي اعتبرت فيه اليهودية كجريمة كبيرة وكريهة من طرف رئيس محاكم التفتيش "توماس دي تركيمادا" (Fray Tomas de Torquemada)، ومنه أصدر قانون طرد اليهود من شبه الجزيرة الإيبيرية. (Fernandez, 1992, p. 29).

4. نظريا يعتبر العجر مسيحيون، لكنهم لم يكونوا ابدا يؤخذون على محمل الجد من طرف الكنيسة المسيحية، ولعل أكبر اتهام واجهه العجر هو أنهم كانوا يتعاملون بشكل كبير مع الموريسكيين، لكن في نفس الوقت لم يكن العجر يمثلون صورة المسيحيين المثاليين بالنسبة للكنيسة او للسلطات الإسبانية، وهو الأمر اذي دعلهم يتعاملون معهم بطريقة مختلفة لا تختلف كثيرا عن الطريقة التي كانوا يتعاملون بها مع الموريسكيين (Arenal, 1978, p. 506).

5. حسب أبحاث الأستاذ "برنارد فنسنت" (Bernard Vincent) فإن مصطلح "الموريسكيين" ظهر للمرة الأولى في قانون أصدر في مدينة "بازا" (Baza) مؤرخة بـ 02 سبتمبر 1521، ولكنه لم يأخذ استعماله الذي عرف به إلا في منتصف القرن السادس عشر (16م)، ومنه سقطت كل المصطلحات الأخرى التي كانت تستعمل للتعبير عن هذه الفئة الاجتماعية (Lecerf, 2009, p. 74).

6. لقد بقي هذا المصطلح متداولاً أو بالأحرى بقيت هذه الصفة متداولة، وحتى في نهاية القرن السادس عشر (16م)، مازال احفاد "المسيحيين الجدد" بعد ستة أجيال يحملون هذا اللقب، فليس لأنهم "مسيحيون جددا" بمفهوم الجدة، وإنما ببساطة لنهم يعتقدون دينا مشكوك في اتباعهم له أو كان إيمانهم دوما محل شبهة (Perez, 2011, pp. 55-56).

7. بالنسبة لبروديل (Braudel) فإنها: "...ليست مشكلة واحدة وإنما هناك مجموعة من المشاكل الموريسكية، فهناك مشاكل تتعلق بالمجتمعات وأخرى تتعلق بالحضارات..."، كما يقول أيضا: "...المشكلة الموريسكية هي خلاف ديني، ويقول آخر هي خلاف حضاري من الصعب الفصل فيه أو التعامل معه...". (Braudel, 1990, p. 515)، وهذا الكلام يحتاج إلى تفسير، بحيث أننا في كل مرة نلمح إشارته إلى ان القضية هي في الأساس قضية حضارية، بل إنه تجاوز الامر في أحد مقالاته إلى الحديث عن "رفض للحضارة"، ومن هنا نلمح ان الأمر في نظره هو رفض المسلمين الأندلسيين أو الموريسكيين الدخول في "الحضارة الإسبانية" (Braudel F. , 1947, pp. 397-410).

8. تخصص العديد من الباحثين الغربيين في الدراسات الموريسكية، من ذلك الباحثة "مارسيداس غارسيا أرينال" (Mercedes- Garcia Arenal)، "جيرار فيخرز" (Gerard Wiegers) في فترتنا الحالية، وجمهرة من الباحثين أمثال "برنارد فنسنت" (Bernard Vincent)، و "لويس برنابي بونز" (Luis Bernabé Pons)، ميغيل دي إيبالزا (Mikel De Epalza) والكثير غيرهم، وكانت

أعمالهم هي التي ألفت الضوء على العديد من النقاط المتعلقة بالموريسكيين ليس فقط في إسبانيا وإنما في مختلف مناطق الهجرة التي وصلوا إليها (Kimmel, 2019, pp. 1-10, (Goytisolo, 2009, p. 80).

9. لقد كان قانون نقاء الدم (Limpieza de Sangre) واحد من القوانين الكبرى التي قامت عليها إسبانيا، حيث أعيد خلقه في سنة 1449، معيدا بذلك قانونا قديما قائما على أنه تمنع على المسيحيين الذين تعود أصولهم إلى يهود من أن يشغلوا مناصب يسمح لهم فيها بممارسة السلطة على المسيحيين القدامى، وسوف يصبح هذا القانون مع الوقت أكثر قانون ينظر إليه عند الوصول إلى مناصب حساسة، حيث تدرس أصول الشخص ما إذا كانت له أصول يهودية أو إسلامية، واستمر هذا إلى غاية منتصف القرن 19م، حيث توقف العمل به (Alpert, 2001, p. 13).

10. ليست هناك دراسات عن "كمال ريس" باللغة العربية، لكن هناك الكثير من الكتب التي تتحدث عنه باللغة التركية لكنها لم تترجم إلى اللغة العربية من ذلك على سبيل المثال كتاب " البحارة العثمانيين العظمين كمال ريس و بابا عروج" (Seyfi, 2012).

11. في نهاية شهر أوت 1541م، أبحر شارل الخامس بتجاه مايوركا، حيث احتشد كامل أسطوله المؤلف من مائتا سفينة محملة بالجنود من الأراضي الألمانية والإيطالية، ومائة وخمسون سفينة أخرى محملة بجنود إسبان من صقلية ونابولي، ومائتا سفينة قادمة من إسبانيا تحمل المدافع والعتاد والمعدات، ونحو 24 ألف رجل ما بين مشاة وفرسان، كما شارك فرسان القديس يوحنا في الحملة وبلغ تعدادهم 140 فارسا و 400 مقاتل من خيرة قواتهم العسكرية (العبيدي، 2010).

قائمة الببليوغرافيا:

1. باللغات الأجنبية

- Alpert, Michael, (2001), Crypto- judaism and the Spanish Inquisition, Palgrave.
- Arenal, Mercedes Garcia, (1978), Morisques et gitans, Mélanges de la Casa de Velasques, N: 14, p. 506.
- Ba, Daha Chérif, (2010), Les colonies prtuairees espagnoles au Maghreb du XVIe au XXe siècle, Insaniyat, N: 47-48, p. 161.
- Bérenger, Jean, (1990), Histoire de l'empire des Habsbourg 1273- 1918, Fayard, Paris.
- Braudel, Fernand, (1928), Les Espagnols en Afrique du Nord de 1492 - 1577, La Revue Africaine, N: 69, p. 193.
- Braudel, F. (1947), Conflits et refus de civilisation: espagnols et Morisques au XVIe Siècle, Annales Economies, sociétés, Civilisations, N: 04, pp. 397- 410.
- Braudel, Fernand, (1990), La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II (Vol. 2), livre de poche références et Armand Colin, Paris.

- Burkiewicz, Luksaz , (2022), Big Politics Around Cyprus.The Ottoman Empire and Venice in the Struggle for the Island (1570- 1573), Perspectives on Culture, N: 36, pp. 52-53.
- Colongue, (1970), Reflets Littéraire de la question morisque entre la guerre des Alpujaras et l'expulsion (1571- 1610), Barcelona: el Boletin de la Real Academia de Buenos Letras, p. 137.
- Cardaillac, Luis, (1971), Morisques et Protestants, Al- Andalus: revista de las Escuelas de Estudios Arabes de Madrid y Granada, V:36, N: 1, p. 29.
- Dedieu, Jean-Pierre, (2011), Les Morisques , des étrangers sur leur propre sol, Etre étranger au Maghreb et ailleurs,N: 19, L'université de Tunis, Tunis.
- Ducharme, Bernard, (2014), Led Morisques: loyaux sujets ou maladie de la République? Cahiers d'histoire, V:33, N: 1, p. 162.
- Epalza, Mikel,(1983), Les Ottomans et l'insertion au Mahgreb des Andalous expulsés d'Espagne au XVIIe siècle, Revue d'Histoire Maghrébine, N: 31-32, p. 165.
- Etchiali, Réda, (2018), L'Emoire Ottoman et la contribution de Euluj Ali Rais - Keletch Ali Pacha- a sa puissanceet a sa Gloire (éd. 2), Dahlab, Algérie..
- Fagnan, (1891), L'Expédition Espagnole de 1541 contre Alger, La Revue Africaine,N: 35, p. 179.
- Fernandez, Luis Suarez, (1992), La population juive à la veille de 1492.Causes et mécanismes de l'expulsion. LesJuifs d'Espagne : histoire d'une diaspora 1492 -1992, 29. Librairie européenne des idées.
- Goytisoló, Jouan, (2009), L'expulsion des Morisques, l'histoire qui dérange. Horizons Maghrébins - le droit de la mémoire, N: 61, p. 80.
- Grammont, Ferdinand.De, (1887),Histoire d'Alger sous la Domination turque (1515 - 1830), Ernest Leroux, Paris.
- Guichard, Pierre, (1983). Les Débuts de la Piraterie Andalousse en Méditerranée Occidentale (798 -813), Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N: 35, p. 55.
- Gürkan, Emrah Safa,(2014), My Money or Your Life: The Habsburg Hunt for Uluc Ali,Studia Historica: Historia Moderna, N:36, p. 124.
- Haedo, Diego De, (1870),Topographie et Histoire générale d'Alger, (M. e. Berbrugger, Trad.)
- Hess, Andrew, (1968),The Moriscos: An Ottoman Fifth Column in Sixteenth-Century Spain, The American Historical Review, V:74, N: 1, pp. 13-14.
- Hess, Andrew, (1972), The Battle of Lepanto and it's Place in Mediterranean History, Past and present, N: 57, p. 62.
- Ibarra, Miguel Angel, (2009), Les Morisques dans le monde Méditerranéen du 16ème et 17ème siècle,Cahiers de la Méditerranée, N: 79, p. 241.

- Imber, Colin, (2010), The Reconstruction of the Ottoman Fleet after the Battle of Lepanto 1571-1572, Studies in Ottoman History and Law (Analecta Isisiana Ottoman and Turkish Studies, N: 20, p. 87.
- Janer, Florencio, (1857), Condition Sociale des Morisques d'Espagne Causes de leur expulsion, ses conséquences dans l'ordre économique et politique, Imprimerie centrale de Napoléon Chaix, Paris.
- Kettani, Ali, (1997). Muslims in Spain after the fall of Granada: suppression, Resistance, Eclipse, and re-emergence, Islamic studies, V:36, N: 4, p. 615.
- Kimmel, Seth, (2019), The Moriscos question: Methodology and historiography, History compass, N: 17, p. 1_10.
- Klemen Pust, (2012), "Defending the Christian Faith with Our Blood". The Battle of Lepanto (1571) and the Venetian Eastern Adriatic: Impact of a Global conflict on the Mediterranean Periphery, ATINER's Conference Paper Series, N: MDT2012-0036, p. 6.
- Lecerf, F. (2009). Une Identité imposée, une identité revendiquée: les morisques grenadins au XVIe siècle. *Cahiers de la Méditerranée*, 79, p. 74.
- Llopis, B. F. (2018). Turks, Moriscos, and old Christians: cultural policies and the use of art and architecture as a means to control the faith before and after Lepanto: some reflections on the Valencia area. *Journal of Iberian and Latin American studies*, 24, p. 73.
- Perez, (2011), Système d'exclusion et ostracisme contre les nouveaux chrétiens en Espagne sous les Rois catholiques, Les sépharades: Histoire et Culture du Moyen Age à nos jours, N: 55-56. Pups et Biblis.
- Quesada, Miguel Angel, (2002), la "Reconquête", clefs de voute du Moyen Age espagnol, Actes des congrès de la Société des historiens médiévistes de l'enseignement supérieur public, N: 33, p. 23.
- Rejeb, Hicham et Sayari Nizar , (2009), Origine du paysage andalou dans le nord-ouest tunisien (Testour et son héritage morisque), Cahiers de la Méditerranée, N: 79, p. 320.
- Roth, Norman, (1992), The Jews of Spain and the expulsion of 1492, The Historian, p. 17.
- Seyfi, Ali Riza, (2012), Büyük Osmanlı Denizcileri Kemal Reis ve Baba Oruç, çalica, Istanbul.
- Temimi, Abdeljelil, (1983), Le Gouvernement Ottoman face au problème morisque, Les Morisques et leur temps: Table Ronde internationale 4- 7 Juillet, 300, ONRS, Montpellier- France
- Valérian, Dominique, (2002), Les Andalous à Bogie (XIe -XVe siècle), Migrations et Diasporas Méditerranéennes (Xe-XVIe siècles), 316. Paris: Publications de la Sorbonne.

- Villegaignon, (1874). Relation de l'expédition de Charles- Quint contre Alger, Auguste Aubry Libraire, Paris
- Yildirim, Onur, (s.d.), The Battle of Lepando and it's impact on Ottoman History and Historiography (Vol. 2). Mediterraneo in armi (sec XV-XVIII), a cura di: Rossella Cancila.

- 2. باللغة العربية:

- كوندز، أحمد أق و أوزتوك، سعيد، (2008)، الدولة العثمانية المجهولة : 303 سؤال و جواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية ، وقف البحوث العثمانية، أسطنبول
- الشافعي، درويش، (2017)، الحملة الإسبانية على تونس في سنة 1535م، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، ع 30، الصفحات 1-12.
- المجهول، (2010)، مذكرات خير الدين بربروس (الإصدار 1). الجزائر العاصمة: شركة الأصالة للنشر والتوزيع.
- يوسف، الهام و علي صقر، ولاء، (2017)، الإحتلال البرتغالي لسواحل المغرب الأقصى، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، م39، ع5، صفحة 414.
- دي مندوثا، أورتادو، (2008)، حرب غرناطة (الإصدار 1)، (إيمان عبد الحليم و سلوى محمود، المترجمون)، المركز القومي للترجمة.
- وولف، جون، (2011)، الجزائر وأوروبا (1500-1830)، (أبو القاسم سعد الله، المترجمون)، عالم المعرفة، الجزائر
- أي غفيريا، خوسي مونيوث، (2010)، تاريخ ثورة الموريسكيين وطرحهم من إسبانيا و عواقبه على سائر أقاليم المملكة، (عبد العزيز السعود، المترجمون)، منشورات ليتوغراف، طنجة.
- سعدي، خير الدين، (2017)، الحملات الإسبانية على مدينة الجائر خلال العهد العثماني (1518 - 1775م) من خلال مخطوط الزهرة النائرة لابن رقية التلمساني، دراسات وأبحاث : المجلة العربية في العلوم الإنسانية والإجتماعية، ع 29، 95.
- خليفي، رفيق، (2007-2008م)، البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3هـ إلى نهاية القرن 9هـ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامي_ قسنطينة، ص 65..
- بشتاوي، عادل سعيد، (1983)، الأندلسيون المواركة دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، أنترناشيونال برس، القاهرة - مصر.
- التميمي، عبد الجليل، (1976)، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م، المجلة التاريخية المغربية، ع6، صفحة 120.
- التميمي، عبد الجليل، (1989)، /الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان - تونس.
- إلتز، عزيز سامح، (1989)، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، (محمود علي عامر، المترجمون)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.
- العبيدي، على، (2010)، الحملة الإسبانية على مدينة الجزائر 1541م وأثرها على توازن القوى في غرب المتوسط، عصور، م9، ع1، صفحة 41.
- بيات، فاضل، (2019)، البلاد العربية في الوثائق العثمانية: ولاية الجزائر في القرن العاشر هجري/ السادس عشر الميلادي (المجلد 8)، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول.

تأثير القضية الموريسكية على العلاقة الجزائرية الإسبانية (1492-1571م)

أورزيفي خديجة

- كاردياك، لوي، (1983)، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون: المجابهة الجدلية (1492-1640م)، منشورات المجلة التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجامعية.
- كرخال، مارمول، (2012)، وقائع ثورة الموريسكيين، (الإصدار 1، المجلد 1، (وسام محمد جزر، المترجمون)، المركز القومي للترجمة.
- رزوق، محمد، (ب.ت)، الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17م، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء.
- عنان، محمد عبد الله، (1990)، دولة الإسلام في الأندلس: العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة- جمهورية مصر العربية.
- ملين، محمد نبيل، (2013)، السلطان الشريف الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب، (عبد الحق الزموري و عادل بن عبد الله، المترجمون)، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، المملكة المغربية.
- بن حموش، مصطفى أحمد، (1999)، المدينة والسلطة في الإسلام: نموذج الجزائر في العهد العثماني، دار البشائر وقسم الدراسات والنشر لمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.
- دي إيبارا، ميغيل أنخل بونيس، (2005)، /لموريسكيون في الفكر التاريخي (الإصدار 1)، (وسام محمد جزر، المترجمون)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة-جمهورية مصر العربية